

أسباب المغفرة

مصطفى معزوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أمر بالاستغفار ومدح أهله ووعدهم بمغفرة الذنوب إنهم إستغفروا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين القائل: *من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: *يَا اِبْنِ آدَمَ اِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي* يَا اِبْنِ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ يَا اِبْنِ آدَمَ اِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَفَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً*. رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

السبب الأول: الدعاء مع الرجاء

الدعاء مع الرجاء فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال تعالى: *وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ*. سورة غافر: آية 60* وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: *إن الدعاء هو العبادة* ثم تلا هذه الآية. من أعطى الدعاء أعطى الإجابة لأن الله تعالى يقول: *ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ*. وفي حديث آخر: *ما كان الله ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة*. من أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى كما خرجه الترمذى من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: *ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة، وإن الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه*.

وفي المسند عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: *إن هذه القلوب أوعية فيعضها أوعى من بعض، فإذا سألت الله فاسأله و أنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب غافل*.

ولهذا نهى العبد أن يقول في دعائه: *اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكروه له*.

نهى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه.

الله يحب الملحين في الدعاء

ولو طالبت المدة فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء وجاء في الآثار *إن العبد إذا دعا ربه وهو يحبه قال يا جبريل لا تعجل بقضاء حاجة عبدي فأني أحب أن اسمع صوته*.

قال تعالى: *وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ*. سورة الأعراف: آية 56 فما دام العبد يلح في الدعاء، ويطمع في الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة، ومن أدام قرع الباب يوشك أن يفتح له.

وفي صحيح الحاكم عن أنس مرفوعا: *لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد*.

من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه

ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخوله الجنة.

وقد قال النبي ﷺ: *حولها ندندن* يعنى حول سؤال الجنة والنجاة من النار.

وقال أبو مسلم الخولاني: *ما عرضت لى دعوة فذرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها*.

سبب صرف الإجابة عن العبد

ومن رحمة الله تعالى بعبد أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه يعوضه خيرا منها: - إما أن يصرف عنه بذلك سوءا.

- أو يدخرها له في الآخرة. - أو يغفر له بها ذنبا.

كما في المسند والترمذي من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: * ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع ياثم أو قطيعة رحم*.

وفي المسند وصحيح الحاكم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: * ما من مسلم يدعو بدعوة ليس له فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: - إما أن يعجل له دعوته. وإما أن يدخرها له في الآخرة. وإما أن يكشف عنه من السوء مثلهما. قالوا: إذا نكث؟ قال: الله أكثر*.

من أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرجح مغفرته إلا من الله وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة. والله تعالى يقول: *أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظُنْ بِي مَا شَاءَ*.

وفي رواية *فلا تظنوا بالله إلا خيراً*.

ويروى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر مرفوعاً: *يأتي الله بالمؤمن يوم القيامة فيقره حتى يجعله في حجاب من جميع الخلق فيقول: لم أقر فيعرفه ذنباً ذنباً تعرف؟ أتعرف؟ فيقول: نعم نعم، ثم يلتفت العبد يمنة ويسرة. فيقول الله تعالى: *لا بأس عليك يا عبدى أنت في سترى من جميع خلقى، ليس بينى وبينك أحد يطلع على ذنوبك غيرى غفرتها لك بحرف واحد من جميع ما أتيتنى به. قال: ما هو يا رب؟ قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيرى*.

فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرجح مغفرته من غير ربه ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره. ذنوب العبد وإن عظمت عفو الله أعظم منه

وقوله: *إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى*.

يعنى على كثرة ذنوبك وخطاياك ولا يعاظمنى ذلك ولا استكثره.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: *إذا دعا أحد فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شئ*.

وفي صحيح الحاكم عن جابر: *أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يقول: واذنوباه، مرتين أو ثلاثاً. فقال له النبي ﷺ: قل: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى، ورحمتك أرحى عندى من عملى، فقالها ثم قال له: عد، فعد، ثم قال له: عد، فعد، فقال له: قم قد غفر الله لك*.

يَا رَبِّ انْ عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً... فَلَقَدْ نِلِمْتُ مِنْ عَفْوِكَ أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ... فَمَنْ أَلَى يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ

مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

السبب الثاني: الاستغفار لو عظمت الذنوب

السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت العنان وهو السحاب. وقيل ما انتهى إليه البصر منها.

وفي الرواية الأخرى: *لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم*.

بيان معنى الاستغفار

والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هى وقاية شر الذنوب مع سرها وقد كثر فى القرآن ذكر الاستغفار.

- فتارة يؤمر به.

كقوله تعالى: وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ*. سورة المزل: آية 20 وقوله: *وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ*. سورة هود: آية 3

- وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: *وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ*. سورة آل عمران: آية 17 وقوله تعالى: *وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ سَأَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَوْرَتَهُمْ فِي يَوْمٍ لَا ضَلَالٍ وَلَا حَتَاٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ فِي يَوْمٍ ذُو الْحِشْمَةِ أَهْلًا مَذْمُومًا يَتَّبِعُهُ أَهْلُ السُّوءِ*. سورة النساء: آية 110

الاستغفار يقرن بالتوبة

وكثيرا ما يقرن الاستغفار بذکر التوبة فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان. والتوبة: عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح وتارة يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفرة كما ذكر الحديث وما أشبهه. ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: *يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي. فإن الله ساعات لا يرد فيها سائلا*. وقال الحسن: *كثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وبما كنتم فإينكم ما تدرون متى تنزل المغفرة*.

وعن مروق قال: *كان رجل يعمل السيئات فخرج إلى البرية فجمع تراب فاضطجع مستلقيا عليه، فقال: رب اغفر لي ذنوبي، فقال: *إن هذا ليعرف أن له رب يغفر ويعذب فغفر له*.

وعن مغيث بن سمي قال: *بينما رجل خبيث فتذكر يوما اللهم غفرانك اللهم غفرانك ثم مات فغفر له*. ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: *إن عبدا أذنب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا فاعفر لي، قال الله تعالى: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فذكر مثل الأول مرتين آخرين*. وفي رواية لمسلم أنه قال في الثالثة: *قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء*.

والمعنى: ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار. ولهذا في حديث أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: *ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة* خرج أبو داود والترمذي قد يكون الاستغفار مانعا من الإجابة

والاستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه وإن شاء رده، وقد يكون الإصرار مانعا من الإجابة. وفي المسند من حديث عبدالله بن عمر مرفوعا: *ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون*.

وخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: *التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالمستزئ بره*.

ورفعه منك ولعله موقوف.

الاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار

وقول القائل: *أستغفر الله*. معناه: اطلب مغفرته فهو كقوله: *اللهم اغفر لي*.

فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة.

قال بعض العارفين: *من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره*.

وكان بعضهم يقول: *استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير*.

وفي ذلك يقول بعضهم:

استغفر الله من استغفر الله ... من لفظة بدرت خالف معناها

وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد ... سددت بالذنوب عند الله مجراها

فأفضل الاستغفار ما قرن به ترك الإصرار وهو حينئذ يؤمل توبة نصوحا وإن قال بلسانه: *استغفر الله* وهو غير مقلع بقلبه فهو داع لله بالمغفرة كما يقول: *اللهم اغفر لي* وهو حسن وقد يرجي له الاجابة.

من انواع الاستغفار

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد: *أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وتوب إليه*.
وقد روى عن النبي ﷺ: *أن من قاله غفر له وإن كان فر من الزحف* خرجه أبو داود والترمذى وفى كتاب عمل اليوم والليلة للنسائي عن خباب بن الأرت قال: قلت يا رسول الله كيف نستغفر؟ قال: قل *اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم*.
وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: *ما ريت أحدا أكثر أن يقول: *أستغفر الله وتوب إليه من رسول الله ﷺ* وفى الأربعة عن ابن عمر قال: *إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول: *رب اغفر لي وتب على إنك أنت التواب الغفور* كم يستغفر فى اليوم

وفى صحيح البخارى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: *والله إنى لأستغفر الله وتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة*.
وفى صحيح مسلم عن الأغر المزنى عن النبي ﷺ قال: *إنه ليغان على قلبي وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة* وفى المسند عن حذيفة قال: قلت يا رسول الله إنى درب اللسان وإن عامة ذلك على أهلى فقال: أين أنت من الاستغفار؟ إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة*.

وفى سنن أبي داود عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: *من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب*.
قال أبو هريرة: *إنى لأستغفر الله وتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديتي* وقالت عائشة رضى الله عنها: *طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفار كثيرا*.

قال أبو المنهال: *ما جاور عبد فى قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير*

دواء الذنوب الاستغفار

وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار.

ورويانا من حديث أبي ذر مرفوعا: *إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار*.
قال قتادة: *إن هذا القرن يدلكم على دوائكم ودوائكم فأما دوائكم فالذنوب، وأما دوائكم فالاستغفار* وقال بعضهم: *إنما معول المذنبين البكاء والاستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الاستغفار*.

قال رياح القيسى: *لى نيف ورُبعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة*.
وحاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه فإذا زلاته لا تجاوز ستا وثلاثين فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة، وصلى لكل زلة ألف ركعة، وختم فى كل ركعة منها ختمة. قال: ومع ذلك فإنى غير آمن من سطوة ربى أن يأخذنى بها فأنا على خطر من قبول التوبة*.

طلب الاستغفار ممن قلت ذنوبه

ومن زاد اهتمامه بذنوبه فرما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه فالتمس منهم الاستغفار وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: *إنكم لم تذنوبوا*.

وكان أبو هريرة يقول لغلان الكتاب قولوا: *اللهم اغفر لأبى هريرة*.

فيؤمن على دعائهم.

قال يكر المزني: *لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي لكان قبوله أن يفعل*. ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم. فإن الله قد كتب كل شيء وحصاه كما قال تعالى: *يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَنْبِتُهُمْ بِأَعْمَلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَتُسَوِّهُ* سورة المجادلة: آية 6 وفي حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ: *أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَءُغُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَتُسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ*.

السبب الثالث: التوحيد

السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة. قال تعالى: *إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ* سورة النساء: آية 48 فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض، وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة. قال بعضهم: *الموحد لا يلقي في النار كما يلقي الكفار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار*.

تحقيق التوحيد يوجب مغفرة الذنوب

فإن كل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية.

عن أم هانئ عن النبي ﷺ قال: *لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل*.

وفي المسند عن شداد بن أوس وعبد بن الصامت أن النبي ﷺ قال لأصحابه: *ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: *الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة ومُرّنتني بها ووعدتني الجنة عليها وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: ابشروا، فإن الله قد غفر لكم*.